المحاضرة الرابعة

الصحافة الليبية خلال فترة الاستعمار الايطالي:

شهدت الفترة التي احتل فيها الإيطاليون ليبيا بداية من عام 1911 انكماشاً في حركة الصحافة المحلية، خاصة في السنوات الأولى للاحتلال، ويرجع ذلك إلى التضييق الذي مارسته السلطات الإيطالية على حركة الصحافة إدراكاً منها للدور الذي تلعبه في حركة المقاومة والتعبئة الشعبية ضد الاحتلال، خاصة وأن الصحافة قد مارست هذا الدور قبل الغزو من خلال تناول عديد من الصحف للمساعي الاستعمارية، وأسفر هذا التضييق عن هجرة الكثير من رواد الصحافة والمثقفين بشكل عام من البلاد في سنوات الحرب الأولى مما أصاب الحركة الصحفية بشبه شلل، واتخذت هذه العقول من المهجر ميداناً لكتابتها وأبدعت الأقلام الليبية في صفحات الجرائد والمجلات المصرية والتونسية والتركية، ولعل هذه الخطوة كانت ذات إيجابية في مستقبل الصحافة بعد فترة الاحتلال بما أضافته من تأهيل وكسب خبرات وانعكست أيضاً على الأسلوب الصحفي بنهاية العهد الإيطالي بعد أن وجدت الصحافة متنفساً للتعبير.

وبالحديث عن الصحافة المحلية ودورها في الكشف المبكر عن المخطط الإيطالي نجد أن صحف مثل "المرصاد الترقي الكشاف أبو قشة "أسهمت بشكل واضح في الكشف والتحليل للنوايا الإيطالية تجاه ليبيا، إذ لم يتوان صحفيو هذه الدوريات عن إبراز آرائهم ومقالاتهم عن كل ما يدور في كواليس السياسة الدولية بصفة عامة والإيطالية بصورة خاصة، حتى أن بعضهم أثار العديد من التساؤلات تجاه الصمت العثماني إزاء ما يحاك، حيث أوردت الترقي في عددها 111لسنة 1911 عنواناً باسم "هل الولاية بلدة عثمانية أم مستعمرة إيطالية"،ووصل كتاب هذه الصحف من الجرأة أنهم سخروا من إيطاليا ووصفوا سياستها بأنها أضعف سياسات الدولة الأوروبية بل ونعتوها بالتبعية للسياسة الإنجليزية والفرنسية، كما قاموا في عدة مرات بتحرير مقالات ردوا فيها على ما يكتب في الصحف الإيطالية حول سعي إيطاليا لتطوير وبناء ليبيا ووصفوها بعدم المهنية .

ومن إسهامات الصحافة في هذه الفترة عملها على فضح المتآمرين من.الداخل مع السياسة الإيطالية، خاصة مستخدمي الإدارة التركية، وممن تعرضوا للنقد والتشهير والي طرابلس" حسن حسني باشا"، الذي حكم الولاية من عام 1909م حتى أواخر عام 1910 م، إذ هاجمت الصحف تصريحاته المؤيدة للطموحات الإيطالية، كما انتقدت إجراءاته ضد الضباط الأتراك بحجة أهم معادون للأجانب والإيطاليين، واتهمته بالخضوع للقنصل الإيطالي، وهاجمت صحيفة أبو قشة بشكل خاص النشاط الخفي للجالية الإيطالية في طرابلس ونشاط الشركة الإيطالية لإنتاج الفوسفات.جراء هذا الدور للصحافة في طرابلس عمدت السلطات الاستعمارية الإيطالية فور احتلالها للبلاد إلى اتخاذ إجراءات صارمة تجاه العمل الصحفي والدوريات المتداولة آنذاك، وخاصة العربية إذا أصدرت سلطات الاحتلال في 1912 الأمر القاضي بوقف كل الإصدارات الصحفية المحلية، وتوقفت بذلك كل الصحف حتى أواخر عام 1914 .

ولجأت السلطات الإيطالية طوال هذه الفترة إلى اعتماد النشرات العسكرية كشكل من أشكال الصحافة، وطبعت هذه النشرات في المطبعة العسكرية، وهي ثاني مطبعة بالحروف اللاتينية أحضرت من إيطاليا ومقرها قلعة طرابلس.

وعينت السلطات الإيطالية مراسلين لها من القوات العسكرية في جبهات القتال وفي المناطق التي تتواجد بها الجاليات الإيطالية، ولما دعت الحاجة إلى إصدار بعض الصحف والدوريات أصدرت الحكومة العسكرية دورية في طرابلس بعنوان" جريدة طرابلس "طبعت بمطبعة فنون الطباعة، وتوقفت بعد العدد السابع عشر، ثم عادت لنشاطها مرة أخرى، ومع بداية عام 1912 م صدرت دورية مزدوجة باللغتين الإيطالية والعربية" رقاص طرابلس "التي ترجمت إلى التركية في عددها الأول، ثم تحول عنوانها إلى العربية باسم" بريد طرابلس"؛ لكنها سرعان ما توقفت بعد عددها الرابع لتصدر دورية أخرى في 1912/08/26 طبعت في مطبعة فنون الطباعة باللغات الإيطالية والعربية والعبرية هي "إيطاليا الجديدة."وفي عام 1914 م صدرت أول جريدة رسمية حكومية باللغة الإيطالية 1916م تضمنت قسماً باللغة العربية منذ صدور عددها الثالث وقد أصدر الوالي الإيطالي" أميليوجيوفاني " منشوراً يقضي بتكوين جريدة رسمية حكومية لولاية طرابلس، وهي التي حلت محل دورية طرابلس

الغرب، واستمرت في الصدور بانتظام كمطبوعة دورية حكومية لنشر القرارات والأحكام والقوانين الصادرة عن حكومة المستعمر في طرابلس وبرقة.

واستمر الوضع حتى عام 1918م، وهي السنة التي تم فيها الإعلان عن قيام الجمهورية الطرابلسية، فبعد دخول المجاهدين بالمنطقة الغربية في مفاوضات مع السلطات الإيطالية اضطرت سلطات الاحتلال إلى تقديم التنازلات بعد خسائرها المتكررة، وأسفرت مفاوضات 1918م ومقترح دستور ينص عن إعلان الجمهورية على أن تكون الشريعة الإسلامية قانوناً للولاية، وأن تصك عملة عربية طرابلسية،وإطلاق حرية الصحافة والتعليم والأحزاب، والاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية.

وبعد أن صدر في روما القانون الأساسي الذي أصدره الملك" فيتوريو 1919م والمتضمن الإذعان لشروط الصلح المتعلقة بحقوق المواطنة والمساواة بين الإيطاليين والطرابلسيين في حقوقهم السياسية والمدنية فيما يتعلق بالحريات، ومن بينها حرية الصحافة، فشمل القانون الضوابط الأساسية للعمل الصحفي الذي أكد على عدم التعرض لسياسات إيطاليا في البلاد ونتيجة ذلك صدرت دورية "اللواء الطرابلسي بطرابلس برئاسة" عثمان القيزاني "وفق المادة السابعة من القانون الأساسي، وكانت الناطق .باسم" حزب الإصلاح الوطني "الذي تأسس في ذات التاريخ وحاولت" اللواء "أن تتبع منهجاً وطنياً عند صدورها فأشادت بالقانون الأساسي وطالبت بإصلاحات أكثر، مما عرضها للتضييق وعرض رئيسه للملاحقة والمراقبة والمحاكمة والسجن والنفي أيضاً.

وعندما أدركت السلطات الإيطالية ما ينطوي عليه الحزب ودوريته الأسبوعية عملوا على تعطيلها عام 1922م.وصدرت بعد اللواء صحيفة" الوقت "التي ترأس تحريرها" محسن ظافر المدني"، وكانت ذات توجه اجتماعي طالبت فيه بالاهتمام بالتعليم وإنشاء المدارس ونبذ الفتن الداخلية، وصدر كذلك في سنة 1921 م صحيفة أسبوعية حملت اسم"الذكرى"وفي ديسمبر من نفس السنة خرجت إلى النور مجلة علمية أدبية سياسية بعنوان" الإصلاح"، وهي دورية نصف شهرية يديرها" مختار الشافعي الفاروقي ، وقد أصدر عددها الأول" عبد الله جمال الدين الميلادي "ونتيجةالعسف الإيطالي والرقابة على ما تنشره الصحف والمجلات، فقد كان مصيرا لإصلاح والوقت الوقوف عن الصدور كما كان مصير صحف ودوريات أخرى مثل" البلاغ "و"الجمهورية "التي أصدرها

"سليمان الباروني "و"الرجل الحر"،و"سيف الحق "التي أصدرها" عبد الرحمن عزام"، و"أفريقيا " التي صدرت في مصراتة، وكانت جميعها مخطوطات أقرب إلى المناشير السرية منها إلى الدوريات بسبب المرحلة التي ظهرت فيها ولقلة نسخها وأعدادها لم يعثر عليها، وكانت جريدة "العدل "الوحيدة التي حظيت برعاية الإدارة الاستعمارية آنذاك .بسبب مواقفها المؤيدة ولكونها اللسان الناطق للسلطات الإيطالية.

أما فيما يخص برقة فبعد اتفاق الرجمة الذي أعطاها قانوناً مماثلاً للقانون الأساسي فى طرابلس ظهرت دورية" الوطن "في منتصف عام 1920 م ببنغازي،وهي أسبوعية أصدرها" عوض أبو نخيله " الذي أسس النادي الثقافي والذي كان في الواقع نادي سياسي يجتمع فيه الشباب والمفكرون، لكنها لم تستمر لأكثر من ثلاثة أشهر لأنها أيدت حركة استقلال برقة ثم توقفت، كما صدرت جريدة باللغتين العربية والإيطالية، برئاسة" محمد الطاهر المحيشي "ما بين عامي1919-1921ثم تحولت إلى "بريد برقة "عام 1925 لتكون أول دورية رسمية حكومية عربية استمرت في الصدور أسبوعياً.

استمر التضييق على الصحف المحلية حتى عام 1935 م ولم تسمح السلطات الإيطالية باستمرار أي صحيفة أو مجلة لا تخضع لمعايير السلطة الحاكمة من حيث تعرضها للسياسات المتبعة في البلاد، فكان نتيجة ذلك استمرار الصحف الموالية لسياسات المستعمر وهي الرقيب التي عرفت باسم"الرقيب العتيد -والعدل "الصادرتان باللغة العربية وكانتا تصلان إلى مختلف مراكز البلاد ولهما مراسلون فيها، وكانت العدل بإدارة" عبد الله بانون "بينما كانت الرقيب العتيد دورية مستقلة صدر ملحق عنها باللغة الإيطالية في الفترة من 1926 م وحتى 1937 وهى سنة توقفها، وفي برقة استمر صدور جريدة بريد برقة التي كانت تؤيد السياسة ذاتها ولما قررت إيطاليا الفاشية تغيير سياستها في ليبيا استعداداً للتوسع في أفريقيا عام 1935 م، بدأت في اتخاذ سلسلة من الإجراءات لكسب الرأي العام في ليبيا منها إظهار احترامها للمساجد والمدارس وللدعاية لذلك أصدرت السلطات بعض الدوريات العربية، أهمها مجلة" ليبيا المصورة "بإدارة "عمر فخري المحيشي"، واستمرت حتى عام 1941م.ومثلما حدث في العهد العثماني فقد وجد اليهود براحاً واسعاً للعمل الصحفي في ظل السيادة الإيطالية على عكس الصحافة المحلية ذلك أن الاتجاه العام لليهود كان مؤيداً لسياسة

إيطاليا، فظهرت عدة دوريات تهتم بشأن الجالية اليهودية في ليبيا، والتي بلغ عددها في عام 1924 م حوالي 13.260 نسمة يتحدث أغلبهم اللغة الإيطالية، وقد وجدوا في تنوع الدوريات الصادرة بتلك اللغة ما يغنيهم عن ظهور دوريات عبرية غير متخصصة باستثناء بعض الدوريات، إذ أنشأت المنظمة الوطنية للتربية والشباب اليهودي التي تأسست أوائل عام 1926 نشرة دورية صدرت في عام 1928 م، كما خصصت بعض الدوريات الإيطالية صفحات باللغة العبرية، وظل اليهود بدون صحافة مستقلة حتى عام 1931 م عندما صدرت دورية باللغة العبرية بعنوان" ساعي البريد العبري".

وبعد عام واحد حلت محلها" ساعي البريد الإسرائيلي "ولكنها سرعان ما توقفت بعد حالة الفوضى الإدارية التي عاشتها الجالية اليهودية مما حذا بالوالي الإيطالي إلى استدعاء الحاخام اليهودي من تورنيو الإيطالية لعرض تنظيم الطائفة اليهودية مهنياً وثقافياً .وتشجيع إصدار دورية خاصة بهم ومجمل القول أن الصحافة الوطنية قد عانت الكثير في ظل السيادة الإيطالية إذ لم تتوان السلطات الإيطالية طوال فترة تواجدها في ليبيا 1911-1943 كسلطة عن ممارسة كل أنواع التضييق القانونية والعسكرية - حاكمة وحيدة في محاربة وطمس كل رأي حر يريد التعبير بالقلم عن أوضاع البلاد، وكان الملاذ الوحيد للتعبير عن أحوال الناس والبلاد ما تكتبه الصحافة الخارجية، خاصة في مصر وتونس اللتان احتضنتا أبرز المثقفين الذين وجدوا مساحة من الحرية في ظل السيادة البريطانية والفرنسية المعاديتان لإيطاليا.

ومن أبرز العقول التي لمعت في المهجر، وبصفة خاصة في مصر" أبو القاسم الباروني "الذي درس بالأزهر،وكان عضواً في اللجنة الطرابلسية السرية، وقد أظهر اهتماماً بكتابة المقالات والأخبار السياسية عن جهاد الليبيين ضد الطليان في عدة صحف مثل" البلاغ الجهاد الدفاع "وبعض المجلات ذات الاتجاه الوطني مثل" الرابطة العربية الشورى الفتح"، وامتدت جهوده في التنسيق مع المثقفين الليبيين الآخرين وخاصة في المشرق العربي، ومنهم" عمر فائق شنيب "الذي كان متواجداً في سوريا، وذلك لطرح القضية الليبية في الصحف السورية، ومن مهاجري طرابلس المقيمين بالإسكندرية" محمود زكي الطرابلسي "الذي أشتهر بمقالاته في مجلة الرابطة العربية، ومما عرف عنه ولعه بتوثيق كل ما يصدر عن الدوريات العربية فيما يتعلق بالجرائم والمآسي التي ارتكبها الإيطاليون في

ليبيا وكذلك عبد النبى الجبالى الذى كتب مقالا نشرته جريدة الأهرام طالب فيه العالم الاسلامى خاصة مصر بإرسال مساعدات الى الليبيين وحرض فيه على ضرورة الكفاح المسلح ضد الغزاة.

ومن الشخصيات التي بذلت دوراً نضالياً في الصحافة المصرية ذلك الوقت"صالح مسعود بويصير "المعروف بنشاطه في تزويد الصحف المصرية بأخبار الجهاد وفضائع المحتلين، ونشرت معظم مقالاته في مجلة" الفتح"، بالإضافة إلى عدة شخصيات أخرى تناولت مختلف قضايا الليبيين في الدوريات المصرية،ومنهم" بوراوي على المهداوي "من مهاجري بنغازي، و"أحمد رفيق المهدوي"والشيخ" الطاهر الزاوي "الذي أتحف إنتاجه الأدبي مثقفي مصر، وقد تعدى نشاطه المقالات الأدبية والسياسية، وشمل عدة إصدارات من الكتيبات والمؤلفات، ومنها كتابه الذي نشره عام 1934 م بدار إحياء الكتب بعنوان" رمز المقاومة الليبية عمر المختار، إضافة إلى رسائله المشهورة التي أصدرها في عدة مدن أقام بها في المشرق ومصر، ومنها رسائل الإسكندرية التي ذكر فيها أهم الصحف المصرية" الأهرام البلاغ كوكب الشرق الجهاد " في إشارة لاهتمامه بالتعامل معها وفى سوريا كان نشاط المثقفين الليبيين مواكبا للإحداث كذلك ففي عام 1929 م نشرت صحيفة المرصاد فى عددها 140 مقالا بعنوان "عرض أعمال ايطاليا فى طرابلس وبرقة خلال سنة 1928 م على العالم المتمدن" وقد ذيل المقال بتوقيع وطني.

ولم يكن الأمر يختلف فى تونس عما هو موجود بمصر وبلاد الشام فما أن أستقر المهاجرون بها حتى أخذ رواد الحركة الوطنية بالنشر على صفحات جرائدها ومنهم" أحمد زرام-ومحمد عباس المصراتي-ومحمد شكري-ومحسن ظافر المدني-ومحمد توفيق الغريانى-ومحسن الصادق المحمودي-والمنصف الطرابلسي-وعبد المعطى الطرابلسي-وإبراهيم الو رفلي"،وقد كتب هولاء وغيرهم فى عدة صحف أهمها" لسان الشعب-الرابطة العربية النهضة" ومن جهة ثانية كان للدور الذي مارسه المثقفون الليبيون فى المهجر خاصة في الأراضي المصرية أثر في جلب اهتمام الصحافة المصرية بما يدور في ليبيا لاسيما الدوريات ذات الاتجاه الوطني، مثل" المؤيد الإسلام الحياة المنار اللواء مكارم الأخلاق العلم الشعب مصر الفتاة".

كما أتاح وجود مثقفي ليبيا إلى جانب زملائهم المصريين إلى إلمام عدد كبير منهم بالأحداث الليبية مما إعطائهم الفرصة لتناولها في دورياتهم، ومن هؤلاء" الشيخ علي يوسف "صاحب جريدة المؤيد، و"سعد زغلول"، و"محيي الدين الخطيب"، و"رشيد رضا"، وبالتالي كانت مصر وغيرها من البلدان ساحات لنضال مثقفي ليبيا أبان فترة الاستعمار والذين نجحوا إلى حد كبير في نقل وقائع الأحداث في وقت كانت فيها الصحافة والإعلام الداخلي بشكل عام يتعرض لأشد أنواع التضييق باستثناء تلك الدوريات الموالية لإيطاليا وسياساتها.

وبناء على ما سبق يمكن أن نعتبر فترة الاستعمار الإيطالي قد مثلت التاريخ المظلم في الصحافة المحلية التي بزغ نجمها في العهد العثماني، ولكن هذا لا يعني اندثارها إذ ما لبث نشاطها أن عاد في عهد الإدارة وساهمت أقلام الصحفيين في مرحلة النضال نحو الاستقلال.

المراجع:

1-مصطفى الأسطى أسماء ، الصحافة الليبية دراسة حصرية تحليلية 2003، سرت، مجلس الثقافة العام، 2008 ، ص - وببليوغرافيا.1866

2-علي مصطفى المصراتي، صحافة ليبيا في نصف قرن، بيروت، دار الكشاف، ط 1960 ، محمد صلاح الدين بن موسى، الصحافة الأدبية1869-1969، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط 1999 .

3- فرانشسكوكورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب وتقديم :خليفة، محمد التليسي، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، . 1984 .

4-محمد الكوني بالحاج، التعليم في مدينة طرابلس الغرب في العهد العثماني. وأثره على مجتمع الولاية، طرابلس1835- 1911، ممركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط 2000 .

5-الطيب علي سالم الشريف، الصحافة الأدبية في ليبيا منذ الحرب العالمية الثانية إلى بداية العقد الأخير من القرن العشرين وأثرها في تطور الأدب الحديث، تقديم :علي مصطفى المصراتي. طرابلس، منشورات مركز .جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط 2000 .

-عبد الحميد الهرامة، الحياة العلمية في الجبل الغربي، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد .الأول، السنة السابعة، 1985 .

6-خليفة الأحول، الجالية اليهودية بطرابلس، إعداد مبروكة عمر الشيباني،، طرابلس، - محاضرات الموسم الثقافي الحادي عشر1989 . .منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط 2000 .

7- إسماعيل القروي، التمهيد الثقافي الإيطالي للغزو العسكري لليبيا1882-1911.، مجلة الشهيد،طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الخامس، السنة السادسة، 1884.

8- إن .بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، منتصف القرن السادسعشر حتى القرن العشرين، ترجمة وتقديم :عماد حاتم، طرابلس، منشورات .مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط 1991 .